التشبيه و أغراضـــــه في سورة آل عِمـــــران

محمود أحمد نابـــــي ـ كلية التربية ناصر ـ جامعة الزاوية

Simile and Its Purposes in Surah Al-Imran

Prepared by:
A. Mahmoud Ahmed Nabi
Department of Arabic Language – Faculty of Education Nasser – Al-Zawiya University
m.nabi@zu.edu.ly

Abstract (in Arabic):
This research aims to highlight simile, its components, and its types as found in Surah Al-Imran, along with its role in clarifying and elucidating meaning. It was found that simile is one of the most important tools of rhetorical imagery, earning a high status among pre-Islamic and Islamic scholars. Numerous scholars contributed to enriching the study of simile over a period of centuries. It was observed that contemporary rhetoricians rarely present new theoretical insights on simile, as they often follow the methodologies of classical scholars.

Surah Al-Imran stands as a model for the density and abundance of similes in the Quran. It was also found that most similes in the Surah were accompanied by simile markers, with the most common being the word *"مثل"* ("like") and its derivatives. Certain types of similes, such as reversed or implicit similes, were not present in the Surah. Most of the similes were used to either beautify or endear certain ideas or objects, or to repel and denounce others

المُقدّمـة:

الحمد لله رب العالمـــين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين

وبعـــد :

فقد وقع اختياري على موضوع التشبيه وأغراضه في سورة آل عمـــران ليكون موضوع بحث يربط العلاقة بين القرآن الكريم وعلم البلاغة بفروعها الثلاثة : (البيان ، والمعاني، والبديع)

أسئلة الدراسة :

هل أدى التشبيه الوارد في سورة آل عمران دوره كما ينبغي ؟

أهداف الدراسة :

يهدف هذا البحث إلى بيان التشبيه وأركانه وأنواعه الوارد في سورة آل عمران ودوره في بيان المعنى وتوضيحه .

حدود الدراسة :

سورة آل عمران ، وقد اتبعت في دراستي هذه المنهج الوصفي التحليلي .

خطوات البحث :

ارتكزت الخطة في هذه الدراسة على ثلاث مباحث هي : المبحث الأول : مفهوم التشبيه) وقد تناولته على المستوى اللغوي ثم البلاغي . المبحث الثاني : أنواع التشبيه وقد قصرت البحث على الأنواع الأربعة الكبرى في التشبيه وهي البليغ والتمثيلي والضمني والمقلوب ، وهذا لا يعني أني أهملت الأنواع الأخرى بل أشرت إليها كلما وجدتها في آية من آيات سورة آل عمران ، والمبحث الثالث : التشبيهات في سورة آل عمران، وقد سردت خلاله الآيات التي ورد فيها تشبيه ، وذكرت رأي بعض العلماء في ذلك ، ثم أتبعته بتحديد نوع التشبيه وغرضه ، ثم الخاتمة : وذيلت البحث بخاتمة لخصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها ثم أتبعتها بفهرس للآيات القرآنية الواردة في البحث ، ثم سردت المراجع التي استعنت بها في البحث.

ولا أدعي أني بلغت الغاية فما جهدي هذا إلا محاولة متواضعة في رحاب العلم المترامية ، وهذا الموضوع بالذات واسع الجوانب متشعب المسالك ، وفيه متسع لأقلام الباحثين .

التمهيـــــــــــد:

1- مكانة التشبيه بين المباحث البلاغيـــة : التشبيه أسلوب من الأساليب البيانية ، وهو ميدان واسع تتبارى فيه قرائح الشعراء والبلغاء ، و لعله من أكثر أساليب البيبان دلالة على عقل الأديب وقدرته على الخلق والابداع ، والتشبيه يدل على خصب الخيال وسموه وسعته وعمقه، كما يظهر مدى القدرة على تمثيل المعاني والتعبير عنها في صور رائعة خلابة .من أجل ذلك كله يفتن الشعراء والبلغاء في صور التشبيه وألوانه ، ويتنافس ذوو المواهب في طرق تناوله والإتيان فيه بكل غريب وبديع وطريف ، ولما كان التشبيه على هذا الوضع فإنه يعدّ مقياساً تقاس به بلاغة البليغ

وأصالته ، ونرى من البلغاء من لا يقف في الدلالة على براعته في التشبيه عند حد إجادته ، وإنما بتجاوز ذلك إلى الإتيان بأكثر من تشبيه في بيت واحد ، فمنهم مثلاً من شبه شيئين بشيئين في بيت واحد كقول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي

يقول أبو هــلال العسكري [1] : " والتشبيه يزيد المعنى وضوحاً ، ويكسبه تأكيداً ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ، ولم يستغن أحد منهم عنه ، وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من كل جيل ما يستدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة في كل لسان"[2] ، ويعبّر عبد القاهر الجرجاني[3] عن مدى أثر التشبيه في التعبير عن المعاني المختلفة بقوله : " فإن كان - التشبيه - مدحاً كان أبهى وأفخم وأنبل في النفوس وأعظم ، وأهز للعطف وأسرع للإلف وأجلب للفرح ، وأغلب على الممتدح ... وأسير على الألسن وأذكر ، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر . وإن كان ذماً كان مسه أوجع وميسمه الذع [4] ووقعه أشد وحده أحد . وإن كان حجاجاً كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر ، وبيانه أبهر، وإن كان افتخاراً كان شأوه[5] أبعد ، وشرفه أجد ولسانه ألد وإن كان اعتذاراً كان إلى القبول أقرب ، وللقلوب أخلب ، وللسخائم أسل ، ولغرب الغضب أفل ، وإن كان وعظاً كان أشفى للصدر وأدعى للفكر وأبلغ في التنبيه والزجر..."[6]، وعبر السيد أحمد الهاشمي عن مكانة التشبيه في البلاغــة العربية بقوله : " اعلم أن للتشبيه موقعاً حسناً في البلاغة وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي ، وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحاً ، ويكسبها توكيداً وفضلاً ، ويكسوها شرفاً ونبلاً ، فهو فن واسع النطاق ، فسيح الخطوة، ممتد الحواشي ، متشعب الأطراف ، متوعر المسلك ، غامض المدرك ، دقيق المجرى ، غزير الجدوى "[7]

2- **التشبيهات في العصر الجاهلـــي :** يقتضينا البحث أن نتعرف على العصر الجاهلي في عجالة ، وأن نعرف سبب تسميته بالجاهلي ، فكلمة الجاهلية التــي أطلقت على عصر ما قبل الإسلام ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ؛ إنما هي مشتقة من الجهل الذي هو بمعنى الحمق والسفه والطيش ، فهي تقابل كلمة إسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله- سبحانه وتعالى- . (8) ويرى المستشرق جولد زيهر

أن المقصود من كلمة الجاهلي "السفه الذي هو ضد الحلم ، والأنفة والخفة والغضب، وما إلى ذلك من معان، وهي أمور كانت جد واضحة في حياة الجاهليين، ويقابلها الإسلام الذي هو مصطلح مستحدث أيضاً ظهر بظهور الإسلام ، وعماده الخضوع لله والانقياد له ، ونبذ التفاخر بالأحساب والأنساب ، والكبر، وما إلى ذلك من صفات نهى عنها القرآن الكريم والحديث الشريف"[9]، وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف والشعر الجاهلي، وهي تعطي معنى الحمية والطيش والسفه ، من ذلك قوله - تعالى- : ﴿ **أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [10] ، وقوله – تعالى- : [**إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**] [11] ، وفي الحديث النبوي الشريف أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لأبي ذر وقد عيّر رجلاً بأمه : " إنك امرؤ فيك جاهلية " [12] ؛ لأن المعايرة صفة من صفات الجاهليين ، وأما في الشعر الجاهلي فقد وردت هذه الكلمة في معلقة عمرو بن كلثوم"[13] ، وهي في قولـــه :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا[14]

وقد حظـــي التشبيه في العصر الجاهلي باهتمام الشعراء والخطباء وبصورة ظاهرة جعلته مميزاً عن أنواع التصوير البياني الأخرى ووضعته في المكان الأول ، والإصابة فيه عندهم تعني الجودة ، والإخفاق فيه يعني الرداءة ، ومن الأغراض التي اعتمد فيها الجاهليون على التشبيه غرض الوصف ، فقد وصف الشعراء الجاهليون كل شيء وقعت عليه أعينهم في صحرائهم ، وفي العادة يأتي ذلك بعد الغزل ، أو الوقوف على الأطلال ، ثم ينطلقون في حديثهم عن رحلاتهم في الصحراء وما تجشموه في سبيل الوصول إلى الممدوح، وقد استعان الشاعر الجاهلي بالتشبيه في تصوير الطبيعة ، فوصف الصحراء والسماء ونجومها ، والرياح والأمطار ، ومضارب الخيام ، وأطلال الديار ، والخيل والإبل ، والصيد وأدواته ، والمعارك وآلاتها ، لقد كان وصف الجاهليين متصفاً بالإسهاب ، على نحو ما نجده عند طرفة بن العبد[15] الذي يصف ناقته فيقول:

وإني لأمضي الهم عند احتضارها بعوجاء مرقال تروح وتغتدي
أمون كألواح الإران نسأتها على لاحب كأنه ظهر برجد

تباري عتاق الناجيات وأتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مور معبد[16]

وعلى هذا النحو راح طـرفة يشبه ناقته حتى كاد لا يترك فيها عضواً ولا جزءاً، ولم يغفلوا ما يظهر أمامهم من حيوان أثناء رحلاتهم في الفيافي الواسعة مصورين المعارك التي تدور بين الصيد والكلاب ، وحرصوا على إظهار فروسيتهم وكرم الفرس كما هو عند امرئ القيس[17] الذي يقول :

وقد أغتدي والطير في وكراتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل
كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمنزل
له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سر حان وتقريب تتفل
مسح إذا ما السابحات على الونى أثرن الغبار بالكديد المركل[18]

فقد صور سرعة حصانه تصويراً بديعاً ، فهو ينطلق وراء أوابد الوحش في الصحراء ، فلا تستطيع منه إفلاتا وكأنه القيد الذي يأخذ بأرجلها ، وهو في قوة اندفاعه كراً وفراً كأنه صخرة ألقى بها السيل من مكان مرتفع ، أما لبده فإنه يزل عن ظهره كما ينزلق الماء على الصخرة الملساء ... إلى غير ذلك من الأوصاف الواضحة في الأبيات ، وأولى الجاهليون المرأة في شعرهم مكانة بارزة ، فلا تكاد تقال قصيدة في العصر الجاهلي إلا واستفتحت بها على نحو قول طرفة في مفتتح معلقته :

لخولة أطلال ببرقة ثهمـــــد ظللت بها أبكي وأبكي إلى الغـــــــــد
وقوفاً بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك أسىً وتجلد[19]

ولم يتركوا شيئاً في حسن المرأة إلا وصفوه وصفاً بارعاً ، فوصفوا جيدها وخدها وعنقها وعينيها ، وثيابها وزينتها وحليها وطيبها ، ووصفوا حياءها وعفتها .. الخ ، يقول الأعشى [20]:

غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل
كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لا ريث ولا عجل
إذا تقوم يضوع المسك أسورة والزنبق الورد من أردانها شمل[21]

وعلى هذا النحو وصف العرب قبل الإسلام كل ما اشتملت عليه بيئتهم من الحيوانات والطيور والزواحف والحشرات ، وأكثروا من ذكر الخصب ورطوبة النبات ، ولدونة الأغصان ، وكثرة الماء ، وكذلك شبهوا الجدب وما صادفوه في الصحراء من مخاوف في الليالي من الجن والشياطين ، ووصفوا الخمر وأوانيها ومجالسها وسقاتها وأثرها وغير ذلك ، وكادوا لا يتركون شيئاً إلا وشبهوه[22] .

المبحـث الأول ـ مفهوم التشبيـه :

1ـ **التشبيه في اللغـــة :** إذا تتبعنا لفظ التشبيه في معاجم اللغة العربية نجده يحمل ما يأتي من المعاني : شبه وشبه لغتان بمعنى . يقال : هذا شبهه أي شبيهه وبينهما شبه بالتحريك والجمع مشابه على غير قياس كما قالوا محاسن ومذاكير ، والشبهة : الالتباس ، والمشابهات : المتماثلات ، وتشبه فلان بكذا .والتشبيه : التمثيل ، وأشبهت فلاناً وشابهته ، واشتبه علي الشي الشبه والشبه والشبيه : المثل ، والجمع أشباه ، وأشبه الشيء الشيء [23] : ماثله ، وفي المثل من أشبه أباه فما ظلم ، وبينهما شبه بالتحريك ، والجمع مشابه على غير قياس كما قالوا محاسن ومذاكير وفي التنزيل : [مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۖ] [24] ، وشبهه إياه ، وشبهه به : مثله...." [25] ، والشبه بالكسر والتحريك والشبيه : المثل جمع أشباه ، وشابهه وأشبهه : ماثله ، وتشابها : أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا ، وشبهه به تشبيهاً : مثله ... " [26] ، وباستقراء مادة الجذر (ش ب هـ) نجد أن كلمة التشبيه في أكثرها تدور حول معنى التمثيل ، أي : التقاء الأشياء واشتراكها في صفة أو صفات .

2ـ التشبيه عند التراثيين القدامـــى : مـــر التشبيه بمراحل عدة ولم يظهر في ساحة البلاغة فجأة ، وهو كغيره من المباحث البلاغية أسهم فيه النحاة والأدباء والمتكلمون ثم البلاغيون ، فنجد عند عدد من التراثيين ملاحظات تتعلق بالتشبيه ، كالتي أوردها الجاحظ [27] في كتابيه البيان والتبيين والحيوان، وهو يقتصر فيهما على أمثلة تطبيقية للتشبيه ، ولا يعرفه ولا يتناوله على المستوى النظري، ومثل هذا المنهج نجده عند تلميذه ابن قتيبة "[28] وغيره ، وأما أول من أفرد للتشبيه باباً وخصه بالبحث المستقل فهو أبو العباس المبرد[29] الذي تعرض في كتابه الكامل إلى جميل التشبيه وعجيبه وعيه وقبيحه ، ومثل لكل منها بأمثلة شعرية ، غير أنه لم يتناوله بالطريقة التي نعرفه بها اليوم . قال المبرد في الباب الذي أفرده للتشبيه : " ... وهذا باب

طريف نصل به الجامع الذي ذكرناه وهو بعض ما مر للعرب من التشبيه المصيب والمحدثين بعدهم ، فأحسن ذلك ما جاء بإجماع الرواة ، ما مر لا مريء القيس في كلام مختصر أي بيت واحد من تشبيه شيء في حالتين بشيئين مختلفين قوله :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي"[30]

ومن العلماء الذين تناولوا التشبيه الرماني[31] الذي اهتم بالمباحث البلاغية في إطار دراسته للإعجاز القرآني ، ومن كتبه في ذلك النكت في إعجاز القرآن ، فقد جعل الرماني التشبيه في القسم الثاني من أقسام البلاغة العشر ، وعرفه بأنه : العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل ، وقسمه إلى قسمين : تشبيه بلاغة كتشبيه أعمال الكفار بالسراب في قوله تعالى : [**وَالذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحْسِبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا**] [32] ، وتشبيه حقيقة نحو : هذا الدينار كهذا الدينار فخذ أيهما شئت [33] ، وأفرد أبو هلال العسكري للتشبيه باباً من فصلين وعرفه بأنه : الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ، ناب منابه أو لم ينب ، ومن الواضح هنا أن العسكري قد تأثر بالرماني في تعريفه مع بعض التطوير وتحدث عن التشبيه من وجوهه المختلفة ، وأدواته ، وطرقه ، ثم عن قبح التشبيه وعيوبه[34] ، وفي القرن الخامس الهجري نلتقي بابن رشيق القيرواني[35] من خلال كتابه العمدة في محاسن الشـــعر وآدابه ونقده ، وقد عرف التشبيه بأنه : صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته ؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه [36] ، وعلى الرغم من أن بن رشيق كان معاصراً لعبد القاهر الجرجاني إلا أنهما لم يلتقيا ، ولم يطلع أحدهما على كتب الآخر .

3- التشبيه بعد عبد القاهر الجرجانـــــي : تطـــرّق عبد القاهر الجرجاني للتشبيه ورأى أنه عمد الإعجاز وأركانه ، وعرفه بأنه : " أن يثبت لهذا معنى من معاني ذاك ، أو حكماً من أحكامه ، كإثباتك للرجل شجاعة الأسد وللحجة حكم النور، في أنك تفصل بها بين الحق والباطل كما تفصل بالنور بين الأشياء " [37] ، ثم جاء الزمخشـري [38] فكان جهده امتداداً للجهد الجبار الذي بذله عبد القاهر الجرجاني ، فانصب جهده على تطبيق أفكار عبد القاهر البلاغية والتراثيين السابقين وذلك على كتاب الله - عز وجل- ، غير أن الزمخشري يشبه الجاحظ في أنه يهتم بالتطبيق

البلاغي ، ولا يحفل كثيراً بالتعريفات والحدود ، ولذلك لا نجد له تعريفاً جامعاً مانعاً أو حداً للتشبيه ، ومن الأمثلة التي أوردها للتشبيه من القرآن الكريم قوله تعالى : [**مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**] [39]، فقال معلقاً على هذه الآية : " شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم ، وفريق المؤمنين بالبصير والسميع ، وهو من اللف والطباق وفيه معنيان : أن يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب ؛ وأن يشبه بالذي جمع بين العمى والصمم أو الذي جمع بين البصر والسمع ، على أن تكون الواو في والأصم وفي والسميع لعطف الصفة على الصفة "[40] ، ثم يأتي بعد الزمخشري السكاكي [41] بكتابه المفتاح ، والذي خصص القسم الثالث منه للبلاغة ، وعلى يديه استقرت وفق التقسيم الذي نعرفها به اليوم ، ومباحث التشبيه عنده تتناول أربعة موضوعات هي : طرفاه ، ووجهه ، والغرض منه ، وأحواله في القرب والغرابة والقبول والرفض [42] ، ومن العلماء الذين بحثوا التشبيه بعد هؤلاء ضياء الدين بن الأثير [43] ؛ ولكنه لم يعرفه بل مثل له بعدد من التطبيقات من مثل قول الشاعر :

إذا ما تردّى لأمة الحرب أرعدت حشا الأرض واستدمى الرماح الشوارع
وأسفر تحت النقع حتى كأنه صباح مشى في ظلمة الليل طالـع

فقال معلقاً على البيتين : " وقد أحسن ... في تشبيهه هذا كل الإحسان"[44] ، وممن استفاضت شهرته في عصره وبعد عصره في ميدان البلاغة القزويني[45] ، ويعرف التشبيه بأنه : " الدلالة على مشاركة أمـــر لأمر في معنى"[46].

4- **التشبيه عند بعض المعاصرين:** تناول المختصون في علوم البلاغة من المعاصرين موضوع التشبيه ، وكانت معظم تعريفاتهم واجتهاداتهم تتكئ على التراثيين ، وعرف السيد أحمد الهاشمي التشبيه بقوله : " مشاركة أمر لأمر في معنى بأدوات معلومة" [47] ، وعرفه عبد العزيز عتيق بقوله : " التشبيه بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هـــي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدّرة ، تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه [48] ، وقال الدكتور بكري شيخ أمين في تعريفه للتشبيه : " هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر، في معنى مشترك بينهما بإحدى أدوات التشبيه المذكورة ، أو المقدرة المفهومة من سياق الكلام"[49] .

وهكذا يتضح أن باحثي البلاغة المعاصرين لم يحيدوا في مفهوم التشبيه وتعريفه عن التراثيين ، وعبد القاهر والسكاكي منهم بصور خاصة.

والراجح من التعريفات السابقة في هذا البحث هو تعريف عبد القاهر الذي يـــرى أن التشبيه هو أن يثبت لشيء معنى من معاني شيء آخر أو حكماً من أحكامه ، والذي يجعل هذا التعريف راجحاً هو اشتماله على العناصر الأساس في التشبيه ، وكون عبارته مختصرة ، ولكونه جامعاً مانعاً .

المبحث الثاني ـ أهم أنواع التشبيه :

1 - التشبيه البليـــــغ : التشبيه البليغ هو الذي حذفت منه الأداة ووجه الشبه والتشبيه البليغ في أصله عملية فنية جمالية تهدف إلي تقريب معني من آخر، أو تمثيل شيء بشيء مدحا أو ذما ، نحو قول النابغة الذبياني[50]

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وقول أبي فراس الحمداني [51]:

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب
إذا نلت منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

أي: إن كل الذي فوق التراب كالتراب ، فحذف الأداة ووجه الشبه فهو من التشبيه البليغ ؛ وإنما سمي هذا التشبيه بالبليغ لأنه يبلغ الغاية في التقريب بين الطرفين وتصوير المشبه في أقرب ما يكون من المشبه به ، وتبلغ درجة الادعاء في تقارب طرفيه إلى حد يجعل المشبه كأنه عين المشبه به.

وقد اختلف العلماء في هذا النوع أهو من الاستعارة أم هو من التشبيه ؟ ولعل سبب الاختلاف هو غياب وجه الشبه وأداة التشبيه التي هي من أدل العلامات عليه ، ولا شك أن التشبيه البليغ لا يمكن أن يكون استعارة ؛ لأن الاستعارة وإن كانت قائمة على التشبيه فإنه يشـــترط فيها حذف أحد الطرفين ، ثم إن الاستعارة مجاز ، والمجاز يقوم على استخدام اللفظ في غير موضعه ، أما التشبيه فإن جميع الألفاظ فيه تكون مستخدمة في مواضعها الأصلية سواء أكان بليغاً أم غير بليغ ، وللرماني فهم

خاص للتشبيه البليغ ، والنص التالي يبين وجهة نظره : " التشبيه البليغ إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف [52]، ومن الواضح هنا أن الرماني لا يتحدث عن التشبيه البليغ من جهة المعنى الاصطلاحي ، وإنما يطلق كلمة البليغ ويريد بها المعنى اللغوي ، أي التشبيه الذي يبلغ الغاية في الحسن[53]

2- **التشبيه التمثيل :** عرف العلماء هذا النوع من التشبيه تعريفات مختلفة منها :

1- هو "ما كان فيه وجه الشبه منتزعاً من أمور متعددة .." [54].

2- هو" ما كان وجه الشبه فيه صورة مقتطفة من مركب "[55].

وأرى أن تعريف التشبيه التمثيلي الأفضل هو التعريف الذي يقول : التشبيه هو ما كان وجه الشبه فيه صورة مقتطفة من مركب . ذلك أن لفظة (متعدد) تعني غير ما تعنيه لفظة (مركب) ؛ لأن المركب جزء واحد لا يتجزأ ، بينما المتعدد يمكن تجزئته وتفصيله وقد أكد هذا الرأي عدد من العلماء ومنهم الدكتور بكري شيخ أمين ، ومن الأمثلة السائرة في تشبيه التمثيل قول الشاعر :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

إن وجه الشبه الجامع بين طرفي التشبيه في هذه الصورة هو الهيئة الحاصلة من الالتجاء من الضار إلي ما هو أشد ضررا منه طمعا في الانتفاع به ، فالمشبه هنا رجل يستجير بعمرو عند الشدة ، والمشبه به المستجير من الأرض التي أسخنتها حرارة الشمس الشديدة بالنار، فقد تركب المشبه من طلب الاستجارة من عمرو وقد أحاطت به الكرب ، وكذلك تركب المشبه به من المستجير من الرمضاء بالنار ، فرسم الطرفان صورة متكاملة العناصر والأبعاد تعبر بدقة عن الحال الذي أراد الشاعر تمثيله ، ومن تشبيه التمثيل قول بشار بن برد [56]:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فالمشبه هنا مركب من النقع مثاراً فوق الرؤوس ، ومن السيوف اللامعة الصاعدة والنازلة تضرب برؤوس الأعداء ، والمشبه به مركب من الليل وهو دامس مظلم ، ومن الكواكب اللامعة التي تتهاوى فيه ، فقد قابل هيئة مركبة بهيئة مركبة ، وقريب من هذا قول المعري[57]:

كأن سهيلاً والنجوم وراءه صفوف صلاة قام فيها إمامها

إن سهيلاً نجم من نجوم السماء فهو في هيئته والنجوم الأخرى مصطفة خلفه يشبه إمام المسجد الذي وقف في محرابه للصلاة ، ووقف الناس وراءه صفوفاً متتابعة متراصة . فالمشبه هنا مركب من سهيل والنجوم الأخرى وراءه ، والمشبه به كذلك مركب من الإمام القائم في المحراب ومن المصلين وراءه وهم في صفوف متتابعة[58].

3ـ **التشبيه الضمني :** يقول العلماء في تعريفه : " هو التشبيه الذي لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب [59]. كما قالوا : هو الذي لا تظهر فيه صورة التشبيه كاملة بل يلمح المشبه والمشبه .به لمحاً في أثناء الكلام [60] نحو قول المتنبي [61] :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

وهذا الضرب من التشبيه يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن فقد يلجأ الكاتب أو الشاعر عند التعبير عن بعض أفكاره إلى أسلوب يوحي بالتشبيه من غير أن يصرح به في صورة من صوره المعروفة ومن الأمثلة على ذلك قول أبي فراس الحمداني :

سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

وقول البحتري [62] :

ضحوك إلى الأبطال وهو يروعهم وللسيف حد حين يسطو ورَوْثَقُ

وقول ابن الرومي [63]

قد يشيب الفتى وليس عجيباً أن يُرى النُّورُ في القضيب الرطيب

ويقرب من هذا النوع ما أطلق عليه بعض العلماء (تشبيه التفضيل) وهو أن يشبه شيء بشيء لفظاً أو تقديراً ، ثم يعدل عن التشبيه لادعاء أن المشبه أفضل من المشبه به [64] نحو قول الشاعر :

حسبت جماله بدراً منيراً وأين البدر من ذاك الجمال

وقول الآخر :

من قاس جدواك يوماً بالسحب أخطأ مدحك
السحب تعطي وتبكي وأنت تعطي وتضحك

4 - التشبيه المقلوب : وهــو جعل المشبه مشبهاً به بادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر، وأبو الفتح عثمان بن جني[65] في كتابه الخصائص يسمي هذا النوع من التشبيه (غلبة الفروع على الاصول) ويقول : " هذا فصل من فصول العربية طريف تجده : في معاني العرب، كما تجده في معاني الإعراب ، ولا تكاد تجد شيئا من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة "[66] ، وتعرض ابن الأثير في كتابه المثل السائر لهذا النوع من التشبيه ، وسماه (الطرد والعكس) ، فقال : " واعلم أن من التشبيه ضرباً يسمى الطرد والعكس ، وهو أن يجعل المشبه به مشبهاً ، والمشبه مشبهاً به ، وبعضهم يسميه غلبة الفروع على الأصول ولا تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض به المبالغة"[67]
ومن التشبيه الذي نظر إليه العلماء على أنه من المقلوب قول ذي الرمة [68] :

ورمل كأوراك العذاري قطعته إذا ألبسته المظلمات الحنادس

فعادة العرب أن يشبهوا أوراك العذارى بكثبان الرمال لا العكس لذلك كان هذا التشبيه من المقلوب ، وعدوا منه قول البحتري :

في طلعة البدر شيء من محاسنها والقضيب نصيب من تثنيها

وإنما كان هذا من التشبيه المقلوب لأن من عادة الشعراء أن يشبهوا من يحبون بالبدر لكونه أقوى حقيقة في الجمال والإشراق ، ومن المقلوب قول عبد الله بن المعتز في تشبيه الهلال :

ولاح ضوء قمير كاد يفضحنا مثل القلامة قد قدت من الظفر

فابن المعتز قد جعل القلامة هنا مشبها به بينما العادة أن تشبه القلامة بالهلال، ويرى بعض العلماء أن التشبيه المقلوب قد ورد كذلك في كتاب الله - عز وجل- ، وعدوا من ذلك قوله - تعالى - : [**اللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا**

مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِے زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ] (69)، ففي الآية تشبيه لنور الله بنور المصباح في المشكاة ، ونور الله لا شك أعظم الأنوار وأقواها .

وبعد ... فليست هذه فقط أنواع التشبيه ، ولكن تم الاكتفاء بأهمها كما ذكرنا منذ بداية هذا المبحث ، ولكن لابد من الإشارة إلى أن العلماء نظروا إلى التشبيه من زوايا متعددة . فقد نظروا إليه من حيث الطرفان وكون كل واحد منهما مفرداً أو متعدداً . ونظروا إليه من حيث الإفراد والتركيب فقسموه من هذه الجهة إلى مفرد ومركب . ونظروا إليه من حيث وجود أداة التشبيه ووجه الشبه أو عدم وجودهما فقسموه إلى مجمل ومفصل ومرسل ومؤكد.(70) ، وغير ذلك من التفريعات التي لو شئنا التطرق إليها في هذا البحث لاحتجنا إلى وقت وجهد أكبر من هدف هذا البحث .

المبحث الثالث ـ التشبيهات فـــي سورة آل عمران :

من المعلوم أن المفسرين قد يتناول كل واحد منهم الآية من جهة اهتمامه ، فبعضهم يهتم بالنحو والإعراب أكثر من سواه ، وبعضهم يهتم باللغة وإيضاح معاني الكلمات ، وبعضهم ينصب اهتمامه على إبراز الإعجاز البياني، وقد اقتضى موضوع هذا البحث ومنهجه الرجوع إلى تفسيرين بصورة مركزة وهما : الكشاف للزمخشري لثرائه البياني، وغزارة مادته البلاغية ، والتحرير والتنوير لابن عاشور لتركيزه على جوانب بلاغية ذات أهمية ، وفيما يلي نستعرض التشبيهات الواردة في سورة آل عمران مستنيرين بهذين التفسيرين :

1ـ قوله تعالى : **[كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَۖ وَالذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِۖ]** (71) ، قال الزمخشري في تفسير الآية : " الدأب : مصدر دأب في العمل إذا كـــدح فيه فوضع موضع ما عليه الإنسان من شأنه ومن حاله، والكاف مرفوع المحل تقديره : دأب هـــؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون ، وغيرهم ، ويجوز أن ينتصب محل الكاف بلن تغني أو بالوقود أي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن أولئك ، أو توقد بهم النار كما توقد بهم ، تقول : إنك لتظلم الناس كدأب أبيك تريد : كظلم أبيك ، ومثل ما كان يظلمهم ، وإن فلاناً لمحارف كدأب أبيه ، تريد : كما حورف أبوه"(72) ، وقال ابن عاشور : " والظاهـــر أن هذا وعيد بعذاب الدنيا ؛ لأنه شبه بأنـه (**كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَۖ وَالذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ**) وشأن المشبه به أن يكون معلوما؛ ولأنه عطف عليه عذاب الآخرة في قوله : (وَأُوْلَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ) وقوله : (كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَۖ) موقع كاف التشبيه موقع خبر لمبتدأ محذوف يدل عليه المشبه به ، والتقدير : دأبهم في ذلك

كدأب آل فرعون، أي : عاداتهم وشأنهم كشأن آل فرعون ، والدأب أصله الكدح في العمل وتكريره .. والمعنى: شأنهم في ذلك كشأن آل فرعون ... وقد ضرب الله لهم هذا المثل عبرة وموعظة ؛ لأنهم إذا استقروا الأمم التي أصابها العذاب وجدوا جميعهم قد تماثلوا في الكفر بالله وبرسله وبآياته ... وقد تعين أن يكون المشبه به هو وعيد الاستئصال والعذاب في الدنيا إذ الأصل أن حال المشبه أظهر من حال المشبه به عند السامع"[73] ، ويتضح أن نوع التشبيه في الآية السالفة هو تشبيه مفصّل ، حيث ذكرت الأداة وهي الكاف ، والمشبه محذوف تقديره دأبهم ، والمشبه به هو دأب آل فرعون ، ووجه الشبه التكذيب من كلا الطرفين .

2- قوله - تعالى - : [**قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ**] [74] ، قال ابن عاشور : " قيل تعريف العهد للمعهود في نفسها ، وجملة (**وَلَيْسَ الذَّكَرُ**) تكملة للاعتراض المبدوء بقوله : (**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ**) ، والمعنى : وليس الذكر الذي رغبت فيه بمساو للأنثى التي أعطيتها ... ونفي المشابهة بين الذكر والأنثى يقصد به معنى التفضيل في مثل هذا المقام ، وذلك في قول العرب : ليس سواء كذا وكذا ، وليس كذا مثل كذا ، ولا هو مثل كذا ، كقوله – تعالى- : [**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**] [75] ، ولذلك لا يتوخون أن يكون المشبه في مثله أضعف من المشبه به إذ لم يبق للتشبيه أثر ولذلك قيل هنا : (**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ**] ، ولو قيل : وليست الأنثى كالذكر لفهم المقصود ، ولكن قدّم الذكر هنا لأنه هو المرجو المأمول ، فهو أسبق إلى لفظ المتكلم ، وقد يجيء النفي على معنى كون المشبه المنفي أضعف من المشبه بـه "[76]، ويتضح أن نوع التشبيه في الآية هو تشبيه مجمل ، حيث لم يذكر وجه الشبه ، بينما ذكر الطرفان ، فالمشبه هو الذكر ، والمشبه به هو الأنثى ، وأداة التشبيه هي الكاف [77]

وينبغي ملاحظة أن التشبيه هنا قد جاء منفياً ، فلا يكون الغرض منه إلحاق شيء بشيء ؛ بل الغرض هو بيان بعد ما بين الطرفين، مع بقاء الغرض الأساس من التشبيه وهو انعقاد المقارنة بين طرفيه .

3- قوله - تعالى - : [**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**] [78] ، قال الزمخشري : " إن شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم ، وقوله : **(خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ)** جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم ، أي : خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم ، فكذلك حال عيسى ، (فإن قلت) : كيف شبه به وقد وجد هو بغير أب ، ووجد آدم بغير أب ولا أم (قلت) : هو مثيله في أحد الطرفين فلا يمنع

اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به ، لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف ، ولأنه شبه به في أنه وجد وجوداً خارجاً عن العادة المستمرة ، وهما في ذلك نظيران ، ولأن الوجود من غير أب ولا أم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب ، فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب"[79] ، وقال ابن عاشور : " محل التمثيل كون كليهما خلقوا من دون أب ، ويزيد آدم بكونه من دون أم أيضاً ، فلذلك احتيج إلى ذكر وجه الشبه بقوله : (خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ) أي خلقه دون أب ولا أم ، بل بكلمة كن ، مع بيان كونه أقوى في المشبه به على ما هو في الغالب ، وإنما قال عند الله ، أي نسبته إلى الله لا يزيد على آدم شيئاً في كونه خلقاً غير معتاد لكم ، لأنهم جعلوا خلقه العجيب موجباً لآدم لا لعيسى ، إذ قد علم الكل أن عيسى لم يخلق من تراب ، فمحل التشبيه قوله :(**ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ**) ، وجملة خلقه وما عطف عليها مبينة لجملة كمثل آدم"[80].

إن التشبيه في هذه الآية هو من التشبيه المفصل الذي ذكرت فيه الأداة (الكاف) والمشبه به هو آدم ، والمشبه هو عيسى ، ووجه الشبه أن كليهما خلق من تراب ، وعلى غير العادة في خلق البشر الآخرين ، والغرض من التشبيه في هذه الآية هو بيان قدرة الله ، والبرهان على أن أمر الله نافذ ، وتأكيد براءة مريم مما رماها به الجاهلون ، وأن عيسى وإن كان من غير أب فإنه عبد الله ، وكان المنهج في بيان كل هذا هو تبسيط المسألة للأذهان عن طريق إبراز مثل مشابه لخلق عيسى وهو آدم عليهما السلام ، فيكون ذلك كالبرهان والحجة التي يقبلها العقل بلا تردد

4ـ قوله – تعالى - : [**وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**] [81] ، وقوله- تعالى - : [**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ**] [82]، قال ابن عاشور : (**وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ**)، معطوف على قوله : (**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ**) وهو يرجع إلى قوله : (قبل) ، (ولا تفرقوا) لما فيه من تمثيل حال التفرق في أبشع صوره المعروفة لديهم"[83]. والتشبيه في الآيتين هو من التشبيه المجمل إذ ذكر في الآية الأولى المشبه به وهو اليهود والنصارى المعبر عنهم بالذين تفرقوا واختلفوا ، والمشبه هم المخاطبون بالنهي ، وأداة التشبيه هي الكاف ، ووجه الشبه لم يذكر في الآية بلفظه ، وكذلك التشبيه في الآية الثانية ، والغرض في كليهما هو التحذير من سوء المصير الذي نال المشبه بهم أو سينالهم في كلتا الآيتين .

ومن الملاحظ أن التشبيه في الآيتين جاء مسبوقاً بالنهي الذي يمنع على المخاطبين مماثلة المشبه بهم منعاً قطعياً .

5ـ قوله - تعالى -: ﴿ **مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ (84)

يقول الزمخشـــري : " شبه ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون وجه الله بالــزرع الذي حسه البرد فذهب حطاماً، وقيل : هو ما كان يتقربون به إلى الله مع كفرهم ، وشبه بحرث ﴿ **قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ** ﴾ ، فأهلك عقوبة لهم على معاصيهم ؛ لأن الإهلاك عن سخط أشد وأبلغ ، فإن قلت) : الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر، والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلاً بالريح (قلت) : هو تشبيه المركب ، ويجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك الريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث "(85) ، ويقول ابن عاشور : "ضرب لإعمالهم المتعلقة بالأموال مثلاً ، فشبه هيئة إنفاقهم المعجب ظاهرها المخيب آخرها ، حين يحبطها الكفر ، بهيئة زرع أصابته ريح باردة فأهلكته ، تشبيه المعقول بالمحسوس ، ولما كان التشبيه تمثيلياً لم يتوخ فيه موالاة ما شبه به إنفاقهم لأداة التمثيل فقيل كمثل ريح ، ولم يقل كحرث قوم".(86) ، ويتضح أن نوع التشبيه في الآية هو من التشبيه المركب ، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس ، حيث طرفا التشبيه هيئتان لا مفردان ؛ الهيئة الأولى المشبه وهي انفاق المنافقين الذين يقصدون الرياء والسمعة ، والهيئة الثانية المشبه به وهي الريح التي تحمل البرد الشديد ، فهبت على الحرث ، والتعبير هنا بالحرث لبيان مزيد الحسرة إذ يذكرهم بالتعب المبذول ، ولم يعبر بالزرع أو النبات رغم أنه المقصود ، لأن الزرع والنبات لا يعبر عن التعب كتعبير الحرث عنه والغرض من التشبيه في الآية هو بيان عدم نفع الإنفاق رياء والتيئيس من ثماره ، وذكر في الآية الريح دون الإعصار لأنه أشمل منه في المكان ، كما ذكر الريح ولم يذكر العاصفة لأنه أشمل منها في الزمان ، فالريح في القرآن تعطي صورة الدمار الشامل ، وخاصة إذا تبعها وصف مثل صرصر أو عاتية أو السموم أو قاصف ... وغيرها ، وقدمت الريح هنا على الحرث لأن الآية تتجه إلى إبراز الجانب السلبي في الإنفاق وهو الرياء ، والريح تتضمن معنى الدمار والهلاك ، لذلك قدمت ، أما كلمة الحرث فتتضمن معنى الخير والنماء ، فأخرت حتى لا تلقي بظلاها على الآية .

6- قوله تعالى : [**سَارِعُواْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**] (87) ، نجد للرماني تعليقا على آية مشابهة لهذه الآية في سورة الحديد وهي قوله تعالى [سَابِقُواْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ] (88) ، فيقول : " هذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم ، وفي ذلك البيان العجيب بما قد تقرر في النفس من الأمور ، والتشويق إلى الجنة بحسب الصفة مع ما لها من السعة ، وقد اجتمعا في العظم"(89) ويقول الزمخشري " ... (**عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ**)، أي : عرضها عرض السماوات والأرض ... والمراد وصفها بالسعة والبسطة ، فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه ، وخص العرض لأنه في العادة أدنى من الطول للمبالغة" (90) ويقول ابن عاشور : " وصف الجنة بأن عرضها السماوات والأرض على طريقة التشبيه البليغ ، بدليل التصريح بحرف التشبيه في نظيرها في آية سورة الحديد ... ، والعرض في كلام العرب يطلق على ما يقابل الطول ، وليس هو المراد هنا ، ويطلق على الاتساع لأن الشيء العريض هو الواسع في العرف بخلاف الطول غير العريض فهو ضيق ، وذكر السماوات والأرض جار على طريقة العرض في تمثيل شدة الاتساع (91)، فالتشبيه الوارد في الآية هو من التشبيه البليغ ، حيث طـــوي ذكر وجه الشبه والأداة ، والغرض هو الترغيب في الجنة ، وبيان سعتها ، والتشويق إلى نعيمها والاتساع فيه راحة للإنسان على عكس الضيق الذي فيه إرهاق واعتصار للقلب ، ولذلك يذكر الاتساع مع الأشياء المحبوبة ، ويذكر الضيق مع الأشياء المكروهة ، قال – تعالـــى - : [**فَمَنْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ**] (92) ، فقد جاء انشراح الصدر في الآية علامة للشيء المحبوب وهو الإسلام ، وضيق الصدر علامة للشيء المكروه وهو الكفر.

7- قوله – تعالـــى - : [**أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ**] (93) ، قال ابن عاشور : " الاستفهام إنكار للمماثلة المستفادة من كاف التشبيه ، فهو بمعنى لا يستوون ، والاتباع هنا بمعنى التطلب ، شبه حال المتوخي بأفعاله رضى الله بحال المتطلب لطلبه ، فهو يتبعها حيث حل ليقتنصها ، وفي هذا التشبيه حسن التنبيه على أن التحصيل على رضوان الله تعالى محتاج إلى فرط اهتمام ، وفي فعل باء من قوله- تعالى - : (**كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ**) تمثيل لحال صاحب المعاصي بالذي خرج يطلب ما ينفعه فرجع بما يضره ، أو رجع بالخيبة (94). ويتضح أن التشبيه في هذه الآية هو من التشبيه المجمل الذي لم يذكر فيه وجه الشبه

وذكرت فيه الأداة وهي الكاف ، والمشبه هو المؤمن (من إِتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ)، والمشبه به هو الكافر (من باء بسخط من الله) ، ويلاحظ أن التشبيه هنا قد سبق بالاستفهام الذي يحمل معنى النفي ، أي ليس المؤمن كالكافر ، فالغرض من التشبيه هنا ليس التقريب بين الطرفين ، بل الغرض هو المباعدة بينهما ، وهذا لا يخل بطريق التشبيه الذي هو المقارنة ، وقد حصلت فعلاً في الآية ، أما النتيجة فلا علاقة لها بالمعنى الفني بقدر ما لها من علاقة بالمعنى العقلي الذي تتجه الآية إلى إبرازه .

8- قوله - تعالى - : [**قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِۖ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌۖ] في** الآية عبر بلفظ مثل للربط بين المشبه والمشبه به ، وهذه اللفظة عندما تكون أداة للتشبيه تفيد غالبا قرب المشبه والمشبه به في الصفة إلى درجة التساوي ، فهي أقرب للتعبير عن التشابه من التشبيه ، أي أن المشبه يبدو وكأنه نسخة من المشبه به . ومثل هذه الآية قوله تعالى : [**إِنْ يَّمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مثله**) ، فالمعنى : إن المشركين قد نالوا منكم [95] (في أحد) نيلاً مشابهاً لما نلتموه منهم (في بدر) [96] ، فما أصابكم مماثل لما أصابهم .

نتائج البحث:

1ـ تبين أن التشبيه يعد من أهم أدوات التصوير البياني ولذلك حظي بمكانة رفيعة لدى الجاهليين والإسلاميين على السواء .

2ـ جاءت تشبيهات الجاهليين مرتبطة غالباً ببيئتهم ونمط حياتهم وتفكيرهم ، وما تقع عليه حواسهم

3ـ أسهم في إنضاج مبحث التشبيه كثير من العلماء خلال فترة استغرقت قروناً .

4ـ البلاغيون المعاصرون لا يكادون يأتون بجديد على مستوى التنظير في التشبيه ، بل نراهم يتابعون التراثيين في غالب الحال .

5ـ معنى التشبيه في اللغة لا يبعد كثيراً عن معناه في الاصطلاح .

6ـ اختلف العلماء في تحديد بعض أنواع التشبيه بسبب اختلافهم في تعريف التشبيه

7ـ تعتبر سورة آل عمران نموذجاً لكثافة التشبيه وكثرته في القرآن الكريم .

8ـ تبين من خلال سورة آل عمران أن أكثر التشبيهات جاءت مصحوبة بأداة التشبيه ، وأكثر هذه الأدوات هي لفظ المثل ومشتقاته ، والكاف ، وكثيراً ما تردان مقترنتين ، ويكون لفظ المثل هو المقدّم دائماً .

9ـ هناك بعض أنواع التشبيه لم ترد في السورة كالمقلوب والضمني.
10ـ أكثر أغراض التشبيهات الواردة في السورة كانت لتحبيب أشياء وتحسينها أو للتنفير من أشياء وتقبيحها

الهوامـــــــــش :

(1) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري (أبو هلال) لغوي أديب شاعر مفسر من أهم تصانيفه كتاب الصناعتين ، توفي عام 395هـ تقريباً . انظر : طبقات المفسرين 138/1 ، و معجم المؤلفين ص 243. 240/3
(2) كتاب الصناعتين، ص243.
(3) هو عبد القاهر بن عبد الرحمن أبو بكر الجرجاني ، أخذ النحو عن أبي الحسين الفارسي ابن اخت ابي علي الفارسي ، بلاغي مشهور ، من كتبه أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ، انظر : طبقات المفسرين .336/1
(4) للميسم الآلة التي يكوى بها .
(5) الشأو : الأمد والغاية
(6) أسرار البلاغة ص 118 ، 119
(7) جواهر البلاغة ، ص200.
8) أنظر د\راسات في الأدب العربي قبل الإسلام ص 97 ، وتاريخ الأدب العربي 73/1 .
(9) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 39/1 .
(10) سورة البقرة / الآية 66
(11) سورة هود / الآية 46
(12) صحيح البخاري (كتاب الإيمان) 9/1 .
(13) هو عمرو بن كلثوم بن عتاب ينتسب الى تغلب ، جاهلي من شعراء المعلقات ، ذكره الجمحي على رأس الطبقة السادسة انظر : طبقات الشعراء للجمحي ص 64
(14) شرح القصائد التسع المشهورات 679/2
(15) هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك شاعر جاهلي ، وأحد أصحاب المعلقات ، ذكره الجمحي على رأس الطبقة الرابعة ، انظر: طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ص 58
(16) المصدر نفسه 220/1 - 222

(17) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث ينتهي نسبه إلى كندة ، شاعر جاهلي ومن أصحاب المعلقات ، ذكره ابن سلام الجمحي على رأس الطبقة الأولى ، انظر : طبقات الشعراء للجمحي ص 41 .
(18) شرح القصائد التسع المشهورات 163/1-173
(19) المصدر نفسه 207/1 ، 210
(20) هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل يكنى بأبي بصير شاعر جاهلي ذكره ابن سلام في الطبقة الأولى ، تنظر طبقات الشعراء للجمحي ص 41
(21) شرح القصائد التسع المشهورات 686/2 ، 687 ، 692
(22) انظر : الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام ص 270 وما بعدها .
(23) الصحاح (شبه) 2236/6 .
(24) سورة الأنعام / من الآية 100 .
(25) لسان العرب (شبه) 2189/4
(26) مختار القاموس (ش ب هـ) ص 321 ، 322 .
(27) - هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الملقب بالجاحظ، صاحب الكتب المشهورة كالحيوان والبيان والتبيين وغيرها توفي 255 هـ ، انظر : معجم الادباء 74/16 وما بعدها
(28) - هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، نحوي لغوي مفسر من أشهر كتبه تأويل مشكل القرآن وطبقات الشعراء وعيون الأخبار توفي 267هـ ، انظر : طبقات المفسرين 252/1 .
(29) - هو محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الأزدي البصري ابو العباس المبرد من أشهر مؤلفاته الكامل والمقتضب ، توفي 285هـ ، انظر : بغية الوعاة 269/1.
(30) الكامل 40/2.
(31) هو علي بن عيسى ابو الحسن الرماني ، من كتبه : الحدود في النحو ، ورسالة النكت في إعجاز القرآن ، توفي 384هـ ، انظر : طبقات المفسرين 425/1 .
(32) سورة النور / من الآية 38 .
(33) انظر : النكت) ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ص 80 وما بعدها .
(34) انظر : كتاب الصناعتين ص 239 .
(35) هو الحسن بن رشيق ابو علي القيرواني ، أديب ناقد شاعر ، من تصانيفه : العمدة ، وقراضة الذهب ، توفي 463هـ ، انظر : معجم المؤلفين 225/3.
(36) العمدة 286
(37) أسرار البلاغة ص 90
(38) هو محمد بن عمر أبو القاسم جار الله الزمخشري ، نحوي لغوي مفسر ، متكلم معتزلي ، من أشهر كتبه تفسيره الكشاف ، توفي 538هـ ، انظر : طبقات المفسرين 314/2 ، 315 .
(39) سورة هود / الآية 24 .
(40) الكشاف 212/2
(41) هو يوسف بن أبي بكر بن محمد ابو يعقوب السكاكي ، نحوي بلاغي عروضي ، من أهم كتبه مفتاح العلوم، توفي 626 هـ ، انظر : بغية الوعاة 364/2 .
(42) انظر : في البلاغة العربية(علم البيان) 30/2 .
(43) هو نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، ضياء الدين ابن الأثير ، أديب كاتب من الوزراء ، من أشهر مؤلفاته المثل السائر ، توفي 637هـ ، انظر : معجم المؤلفين 98/13.
(44) المثل السائر 142/2 .
(45) هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن احمد القزويني الخطيب جلال الدين ابو المعالي ، فقيه أصولي محدث لديب، من أشهر كتبه تلخيص مفتاح العلوم و الايضاح . توفي 739 هـ ، انظر : معجم للمؤلفين 145/10 .
(46) التلخيص ، ص 238

(47) جواهر البلاغة ص 200
(48) في البلاغة العربية (علم البيان) 92/2
(49) البلاغة العربية في ثوبها الجديد(علم المعاني) 15/2.
(50) هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني شاعر جاهلي كان الشعراء الجاهليون يحتكمون إليه في سوق عكاظ ، توفي 18 قبل الهجرة، انظر معجم المؤلفين 188/4 .
(51) هو الحارث بن سعيد بن حمدان بن حمدون المكنى بأبي فراس ، شاعر فارس ، له ديوان شعر توفي 357هـ انظر : معجم المؤلفين 175/3 .
(52) النكت (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ص 81 .
(53) انظر مجمل ما سبق في : البلاغة العربية في ثوبها الجديد
(54) المدخل إلى دراسة البلاغة العربية ص 229
(55) البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البيان) 36/2 .
(56) هو بشّـــار بن برد كان مولى لبني عقيل شاعر مجيد مجدد في عصره، اتهم بالزندقة وقتل عام 167 هـ انظر: طبقات الشعراء ص 21 وما بعدها
(57) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد المعري المكنى بأبي العلاء ، شاعر أديب ، من آثاره المشهورة : اللزوميات ، وسقط الزند ، ورسالة الغفران ، توفي 449 هـ ، انظر : معجم المؤلفين 290/1 .
(58) انظر : البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البيان) 23/2 وما بعدها .
(59) جواهر البلاغة ص 221
(60) المدخل إلى دراسة البلاغة العربية ، ص 229
(61) هو أحمد بن الحسين بن الحسن الملقب بالمتنبي والمكنى بأبي الطيب ، شاعريته معروفة ، وديوانه متداول ، توفي 304هـ . انظر : معجم المؤلفين 201/1
(62) هو الوليد بن عبيد بن يحي بن جابر بن مسلمة البحتري، شاعر معروف توفي 284 هـ ، انظر : معجم المؤلفين 170/13
(63) هو علي بن العباس بن جريج البغدادي المشهور بابن الرومي) ابو الحسن) شاعر رومي الأصل من آثاره ديوان شعر ، توفي 283هـ ، انظر معجم المؤلفين 114/7
(64) انظر : البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البيان) 2/ 52
(65) هو عثمان بن جني - بسكون الياء معرب كني - ابو الفتح ، عالم نحوي مشهور ، ومن كتبه المعروفة الخصائص ، توفي 392هـ ، انظر : بغية الوعاة 132/2.
(66) الخصائص 300/1 .
(67) المثل السائر 156/2
(68) هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود الملقب بذي الرمة ، شاعر معروف ، توفي 117هـ ، انظر : معجم المؤلفين 44/8 .
(69) سورة النور من الآية 35
(70) أنظر في البلاغة العربية (علم البيان) 2/ص101،100
(71) سورة آل عمران / الآية 11
(72) الكشاف 176/1 .
(73) التحرير والتنوير 173/3 ، 174
(74) سورة آل عمران / من الآية 26 .
(75) سورة الزمر / الآية 10 .
(76) التحرير والتنوير 233/3 ، 234
(77) سورة آل عمران / الآية 58
(78) الكشاف 192/1 .
(79) التحرير والتنوير 263/3 .

(80) سورة آل عمران / الآية 105
(81) سورة آل عمران / من الآية 156 .
(82) التحرير والتنوير 43/4
(83) سورة آل عمران / الآية 117 .
(84) الكشاف 212/1
(85) الكشاف 212/1
(86) التحرير والتنوير 62/4.
(87) سورة آل عمران / الآية 138
(88) سورة الحديد / الآية 20
(89) النكت (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ص 84 .
(90) الكشاف 217/1 .
(91) التحرير والتنوير 88/4 ، 89
(92) سورة الأنعام / الآية 126 .
(93) سورة آل عمران / الآية 164
(94) التحرير والتنوير 157/4
(95) سورة آل عمران / الآية 72
(96) سورة آل عمران / من الآية 140